

# التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

إعداد

د. عبد الله بن حمد العويسي

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الشريعة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٣٢هـ = ٢٠١١م

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### ملخص البحث:

تناول البحث ما يلي:

أكد الباحث أنه إذا لم يتم التخطيط للتربية، ووضع البرامج الملائمة لبناء الشخصية الحضارية الفاعلة والمنتجة، فلن تستطيع الأمة النهوض من كبوتها أو تجسيد القيم الإنسانية في سلوكها ولذا فإن من الأهمية بمكان الاهتمام بتفعيل رأسمالها البشري بطريقة مخططة تستوفي شروط التخطيط الثقافي وتضع في أولوية تخطيطها الثقافي ما يلي:

- تربية الضمير الحي.
  - بناء الإرادة الصلبة وحفز الطاقات وتوجيهها الوجهة النافعة.
  - الكشف عن الموهبة وتنميتها وتوجيهها الوجهة السليمة.
  - تربية العقل على التساؤل والنقد والإبداع وتوجيهه نحو حل المشكلات وليس الحكم عليها.
  - تنمية التفاؤل الإيجابي الذي يؤدي إلى الاستفادة من المواقف الخاطئة دون إحباط.
  - تنمية القدرة على التعلم من الأخطاء والتدريب على النقد الذاتي الفردي والاجتماعي في مناخ من الحرية المسؤولة.
  - الاستفادة من الصواب والمفيد بغض النظر عن مصدره.
  - الحذر من الخلط في المقاييس ومراعاة اختلاف المجالات ومستويات النظر.
  - النظرة الكلية التي تستوعب المشكلة وتضع الحلول الجوهرية المناسبة لها دون تجزئة أو ازدواجية.
  - استثمار التطور في مختلف المجالات ولاسيما المجال المعرفي والإنساني والوصل بين المعرفة والتدريب ومراعاة الجودة الشاملة في مختلف المجالات .
- الكلمات المفتاحية: ( التنمية ، الثقافية ، بناء ، الإنسان )**

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله وصحبه وسلم  
أجمعين... أما بعد؛؛

فإن مشروع التنمية أو التحديث في العالم الإسلامي يعد الأكثر تأثيراً في تاريخه الحديث فمع هذا المشروع بدأ اختلال التناغم والاتساق الذي كان سائداً وظهرت الازدواجية في أوجه الحياة بما دخل عليها من قيم وأساليب ووسائل مدنية غربية وبما فرض على الحياة من أنموذج للتنمية لم يكن نتيجة تطور هذا العالم بل ثمرة تطور عالم آخر .  
إن التنمية بنماذجها الواقعية المعاصرة ظاهرة غربية نشأت وتطورت في إطار الحضارة الغربية المتسم بالحيوية والإبداع والتطوير المستمر وهي لا تتفك عن الرؤية العامة الغربية بل تتأسس عليها وتتطلق منها ولكن تلك الظاهرة أصبحت عالمية بقدر تعولم الحضارة الغربية ونماذجها وهي من جانب آخر ذات صلة بواقع الأمم التي استعارت تلك النماذج للخروج من ماضيها المتخلف والولوج إلى العصر الحديث المصطبغ بصبغة الغرب وما نتج عن محاولة التجاوز للتخلف بواسطة النماذج الغربية من إشكالات تجلت في تجارب ناقصة لم تؤد المطلوب فلم تنتج تلك الاستعارة للنماذج الغربية ما أنتجته في العالم الغربي بل كرس التخلف وزادت من حدة المتناقضات في الواقع بجوانبه ولاسيما الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

ومما أدى إلى ذلك الانطلاق من النموذج دون مراعاة الواقع الاجتماعي المختلف الذي يحتم وضعه في الاعتبار باعتباره شرطاً ضرورياً لنجاح التنمية ومن أجل مظاهر هذه التجارب الناقصة تقديم التنمية الاقتصادية على التنمية الثقافية وترك الجانب الثقافي فضاءً واسعاً لكل المبادرات والمحاولات الفردية والحزبية وقد أدى إخفاق التنمية الاقتصادية إلى الاهتمام بالتنمية الثقافية لردم الهوة وتحقيق ما لم تستطع التنمية الاقتصادية تحقيقه

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

ولكن المشكلة تتكرر بتبني الأنموذج الثقافي الغربي ومحاولة فرضه على العالم الإسلامي ولاسيما مع العولمة ومؤسساتها وفي ظل سيطرة القطب الواحد نظراً لأهمية التنمية الثقافية في توجيه الإنسان وإطلاق طاقاته ولإلقاء الضوء عليها في ضوء الإسلام لاستجلاء الحقيقة وبيان الإيجابي والسلبي في هذا الحراك الثقافي المخطط فقد حاولت في هذا البحث تجلية أهميتها بل ضرورتها وأثر إهمالها في تطبيق التنمية بأوجهها المختلفة .

وقد جاء هذا البحث في نقاط مركزة تمثلت فيما يأتي:

تمهيد: عن مصطلح التنمية .

أولاً: إطار التنمية وأنموذجها.

ثانياً: خطوة التركيز على التنمية الاقتصادية وحدها.

ثالثاً: أهمية الجانب الإنساني في التنمية.

رابعاً: التصور الصحيح للتنمية وضرورة التنمية الثقافية.

خامساً: دور التنمية الثقافية في بناء الإنسان.

وأرجو المولى القدير أن يكون في ذلك ما يؤدي إلى التبصر في المشكلة التنموية

ولا سيما في العالم الإسلامي.

د. عبد الله بن حمد العويسي

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الشريعة بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢٠١١هـ / ١٤٣٢م

تمهيد عن مصطلح التنمية:

التنمية (development) مصطلح حديث ويعد من المصطلحات الأكثر تداولاً

لاتساعه لجوانب الحياة البشرية مما أدى إلى صعوبة تعريفه ويضاف لذلك تداخله مع

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

مصطلحات أخرى كالنمو<sup>(١)</sup>، والتحديث والحدثة ومفاهيم أخرى فهناك أكثر من تعريف وأكثر من مفهوم يرتبط به وبخاصة التنمية الاجتماعية مما جعله يتسم بالغموض أكثر من اتسامه بالوضوح فلم يتحدد بعد تعريفه تحديداً دقيقاً<sup>(٢)</sup>، بل يختلف تعريفه باختلاف زاوية النظر والتخصص فقد تناول هذا المصطلح عدد كبير من المفكرين والاقتصاديين والسياسيين والاجتماعيين<sup>(٣)</sup>.

وإن غلب عليه في البداية البعد الاقتصادي الذي يتبعه التغير في جوانب الحياة الاجتماعية ومما عرّف به من هذا الجانب: أنه انتقال تدريجي من اقتصاد معيشي إلى اقتصاد صناعي بفضل التحديث التدريجي لمجتمع تقليدي<sup>(٤)</sup>.

فهذا التعريف يردّ التغيير إلى العامل الصناعي الناقل للمجتمع من النمط التقليدي إلى النمط الحديث. وأما في هذا البحث فقد أردت جانباً معيناً من التنمية وهو التنمية الثقافية التي محوراً وغايتها الإنسان في بنائه وتحريره وتفعيل طاقاته وهو ما انتهى إليه الاهتمام في قضية التنمية بما عرف بمصطلح التنمية البشرية التي تركز على أولوية الإنسان على الجانب الاقتصادي وتحدد معايير للتنمية على هذا الأساس<sup>(٥)</sup>.



(١) انظر أشواق عبد المحسن الصاعدي، الثقافة والتنمية البشرية ص ٢٦، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، الحضارية للطباعة والنشر العراق بغداد ط/١ تموز ٢٠٠٨م

(٢) انظر: د. محمد الجوهري مقدمة في علم اجتماع التنمية، ص ١٦٤، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ط/٢ ١٩٧٩م دار الكتاب للتوزيع القاهرة

(٣) انظر: أشواق الصاعدي، الثقافة والتنمية البشرية ص ٢٧

(٤) جيرار بن سوسان وجورج لايبكا، معجم الماركسية النقدي ص ٤٨٧، دار محمد علي للنشر. صفاقس و دار الفارابي. بيروت ط/١ ٢٠٠٣م

(٥) انظر: أشواق الصاعدي، الثقافة والتنمية البشرية ص ٣١، ٣٢.

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### أولاً: إطار التنمية وأنموذجها:

تعتبر التنمية في صورتها الحديثة ظاهرة غربية حيث كانت نشأتها وتطورها في سياق الحضارة الغربية نشأت التي صاغت أنموذجها الأول وسوقت له في العالم سواء عن طريق الاستعمار أو بالتبعية .

ومن هنا تأتي المشكلة في انفصال الحلول عن المشكلات وذلك حينما تلجأ المجتمعات لاستعارة أسلوب النهضة من الآخر بحذافيره دون مراعاة لواقع تلك المجتمعات من حيث درجة التخلف أو التقدم وارتباطات ذلك التخلف التاريخية مع أن "التنمية ترتبط بالتخلف باعتبارها مشروعاً يهدف إلى إزالته"<sup>(١)</sup>.

ومن ثمّ فلا يمكن النجاح فيها ما لم تؤخذ ظاهرة التخلف بالاعتبار، بحيث يكون التخطيط لها، والعمل على إنجازها مؤسساً على ما يقتضيه الواقع التاريخي السابق لها، كما أنها ترتبط بالغرب باعتبارها ظاهرة سواء في نشأتها وتطورها<sup>(٢)</sup>، أو في أنموذجها باعتبارها مشروعاً للخلاص من التخلف في العصر الحديث، يطمح العالم النامي للوصول إليه<sup>(٣)</sup>.

وربما كان لهذا الواقع المزدوج للتنمية أثر عظيم في إخفاقها<sup>(٤)</sup>.

ويتجلى ذلك من عدة جوانب:

١- التعامل المنقوص أو التجزيئي مع ظاهرة التخلف، وذلك من خلال النظر إليها باعتبارها نتيجة مشكلات متعددة وليست مشكلة جامعة لتلك المشكلات، بحيث يتم علاج كل مشكلة على حدة؛ كالنظر إلى التخلف من خلال مظاهره؛ الجهل،

(١) انظر: د/ محمد سعيد، مشاكل التنمية في العالم الثالث ص ٢٧.

(٢) انظر: د/ نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية ص ١٠٨، ص ١٠٩ .

(٣) انظر: محمد سعيد، مشاكل التنمية ص ١٨ .

(٤) انظر: د/ فهد السلطان، البيروقراطية وإدارة التنمية ص ١٥ .



## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

مع ما يلحظ من أن الغرب نفسه متطور ومبدع عبر مساره التنموي فلم يقف أنموذجه في التنمية عند حد معين يعتبره عين الكمال والتمام بحيث لا يمكن تجاوزه .

٣- اعتبار "المبادئ المستخلصة من التجربة الرأسمالية بمثابة القوانين الطبيعية التي تعمل بغض النظر عن الزمان والمكان، وتصوير عملية التنمية على أنها عملية تقنية بحتة، يتم فيها التغلب على العقبات باستيراد رؤوس الأموال والخبرة الغربية، وتوظيف عوامل الإنتاج بطريقة رشيدة، يتم من خلالها دفع الاقتصاد... إلى مسار النمو الذاتي، وتخليصه من مصيدة التخلف والفقر"<sup>(١)</sup>. ووضع خطط التنمية على أساس التساوي بين الشرق والغرب، وتجاهل الخصوصية سواء من حيث الواقع المادي وتطوره، أو الواقع الثقافي واختلاف الهوية<sup>(٢)</sup>.

بناءً على ذلك فقد تناول الاقتصاديون التنمية من جوانب مادية فقط، وكأنها مقصورة على التطور الاقتصادي وعرفها هؤلاء بأنها: "تنشيط الاقتصاد القومي، ونقله من حالة الركود والثبات إلى مرحلة الحركة والدينامكية، عن طريق زيادة سنوية في إجمالي الناتج القومي، بمعدل يتراوح بين ٣ % إلى ٧ % أو أكثر، مع تغيير هيكل الإنتاج وأساليبه، ومستوى العمالة"<sup>(٣)</sup>. ويذهب هؤلاء إلى أن تطور الاقتصاد سيؤدي حتماً بل آلياً إلى الوفاء بالحاجات الإنسانية، وإلى رفاهية الإنسان<sup>(٤)</sup>.

وذلك انطلاقاً من أن مفهوم "التنمية الاقتصادية باعتباره مفهوماً معيارياً، ينطوي على أحكام لما يجب أن يتحقق في المجالات الاقتصادية وغير الاقتصادية، تتصل برفع القدرة الإنتاجية، وكفاءة أداء أفراد المجتمع، مع ضمان العدالة الاجتماعية في توزيع

(١) انظر: مجموعة من الباحثين ، التنمية العربية ، ص ١٧٤ .

(٢) انظر: علم اجتماع التنمية ص ١٧٣ .

(٣) انظر: د/ السلطان ، البيروقراطية ص ١١ .

(٤) انظر: روبرتس، من الحداثة إلى العولمة ج/٢ ص ٧ .



## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

ثمار التنمية، إضافة إلى أهداف أخرى، في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية " (١) ولكن هذا لا يمكن أن يصدق في عالم الواقع فليس من لوازم وفرة الإنتاج تحقق العدالة الاجتماعية في توزيع ثمار التنمية فهذا مرجعه إلى العامل الثقافي بمعناه الواسع الذي يشمل القيم والتشريعات والممارسات والمواقف والتصرفات ودرجة الوعي بالحقوق والواجبات ولذا فالتنمية الاقتصادية وحدها لا تحقق النتيجة المرجوة ما لم يؤخذ بالتنمية الثقافية التي تجعل الإنسان هدفها بناءً وتطويراً وإشباعاً.

وبناءً على هذا التصور الخاطئ لدور التنمية الاقتصادية فقد عوملت التنمية بعامة على أنها " قضية اقتصادية في المقام الأول، ونظر إلى جوانب التنمية الأخرى أنها تابعة وهامشية بالنسبة للتنمية الاقتصادية فيأتي تبعاً لها محاولات للتنمية والتحديث في مجال السياسة والإدارة وغيرها من أنواع التنمية المختصة، ولم تجر محاولات جادة، لصياغة مفهوم كلي للتنمية، يربط بين أنواع التطور في المجالات المختلفة، وبين العلاقات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والثقافة والإدارة والمجتمع" (٢)، واتجهت جهود التنمية إلى التنمية الاقتصادية و" تحقيق معدل أعلى في الناتج القومي الإجمالي، على أساس أن تحقيق هذا الهدف سوف يحل مشكلات الفقر، وعدم عدالة التوزيع، وتدهور المعيشة لقطاع عريض من المجتمع" (٣) ، ولكن ذلك النهج أدى إلى نتائج عكسية، تجلت في إخفاق التنمية بصيغتها الاقتصادية، سواء التي تعتمد على هيمنة القطاع العام ( النمط الاشتراكي)، أو ذات النهج الليبرالي المتوجه نحو الخصخصة ونظام السوق؛ ففي الوضع الأول تبدو هشاشة القدرة الإنتاجية والتنافسية

(١) انظر: د/ سعد فتح الله، التنمية المستقلة ص ٢٤ .

(٢) مجموعة من الباحثين، التنمية العربية ص ١٦٩، ١٧٠ .

(٣) د/ أسامة عبد الرحمن، تنمية التخلف وإدارة التنمية ص ١٩٥ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

للإنتاج الوطني، وفي الوضع الثاني يلاحظ نشوء مشروعات هامشية بالنسبة إلى أولويات المشروع التنموي الوطني، من أجل استقطاب الاستثمار الأجنبي، وما ترتب على ذلك من الدخول في شبكة المديونية وتبعاتها، والرضوخ لشروط المؤسسات المالية الدولية، وظهرت اختلالات في الاقتصاد حين غلب التطلع للمشروع الصناعي في سباق وهمه الصناعي على حساب الزراعة، فقاد إلى الإفكار الغذائي، وسبب انكشافا غير مسبوق واعتماداً على الخارج، وتكاليف مرتفعة لفاتورة الغذاء، واللجوء إلى القروض لإشباع الحاجات الأساسية، كما إن الدعم التنموي رجح الاقتصاد الطفيلي على الاقتصاد الإنتاجي، فضيع فرص التنمية الفعلية في الصناعة والزراعة على حد سواء، وركز على المدن وأهمل الأرياف، وأنتج تشوهات هيكلية كبيرة، وفروقا عظيمة بين سقف الثروة المرتفعة واللا سقف وروج لاقتصاد الكماليات، بدلا من اقتصاد إشباع الحاجات الأساسية، وأوجد شعورا أكبر بالحرمان، والانسحاق تحت بريق التطلعات للسلع الترفيهية، ونهما من الشريحة المترفة عليها، وترك الساحة تعج بالخريجين العاطلين، مما ضاعف من مشكلة البطالة، وأضاف فقراً إلى فقر، بالنسبة لقاعدة المجتمع العريضة<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: السابق ص ١٩٦، ١٩٧، نقلاً عن عبد الإله بلقزيز، العنف السياسي في الوطن العربي، المستقبل العربي سنة ١٩ العدد / ٢٠٩ يوليو ١٩٩٦ م ص ٢٥ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

ثانياً: الالتفات لخطورة التركيز على التنمية الاقتصادية وحدها وإهمال التنمية الثقافية:

إن هذه النتائج السلبية للتنمية على الأساس الاقتصادي وحده مع إغفال الجوانب الأخرى للتنمية على أساس أنها ستتحقق تبعاً بشكل آلي قد لفت الانتباه إلى أمرين أساسيين:

### الأول:

الاهتمام بالجانب الإنساني من التنمية، ويلحظ هذا من خلال تعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الذي عرف التنمية البشرية بأنها: (توسيع نطاق الخيارات المتاحة أمام الناس). ولم يقتصر في تقاريره على ربط التنمية بالنمو الاقتصادي وحده، بل تم التأكيد على تحسين نوعية الحياة المادية، ووضع مؤشرات كمية لقياسها، والأخذ بإطار أوسع يشمل حقوق الإنسان والمشاركة المجتمعية وغيرها، واعتبر مبدأ المشاركة، والحرية السياسية عنصراً أساسياً في التنمية البشرية<sup>(١)</sup>.

ولذا " أصبح توفير الضمانات اللازمة التي تكفل التمتع بقدر مناسب من الحقوق والحريات أحد المداخل المهمة لتحقيق الغايات المرجوة في أي مشروع، أو خطة للتنمية المجتمعية"<sup>(٢)</sup>.

"وصار مبدأ حقوق الإنسان أحد المعايير المهمة في تحقيق العلاقات، والمعاملات الدولية وكذلك في قياس التطور السياسي لأي مجتمع، وقد يتخذ مثل مقياس النمو أو تلبية الحاجات الأساسية التي تحدد مستوى تطور الدول"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: د/ أسامة عبر الرحمن تنمية التخلف، ص ١٦، ١٥ .

(٢) مجموعة من الباحثين، الإسلاميون والمسألة السياسية، ص ١١٠ .

(٣) السابق، ص ١٠٩ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### الثاني:

الشعور بما أدت إليه التنمية الاقتصادية من ترسيخ للتبعية، ومن ثم المناداة باستقلال التنمية أو التنمية المستقلة، وأنها لن تتحقق إذا لم تتوجه إلى الداخل من أجل إشباع الحاجات الأساسية، وتحقيق العدالة في توزيع الدخل، وتغيير نمط الاستهلاك بما يتلاءم ومتطلبات كل مرحلة من مراحل بنائها، وفقا للتميز الحضاري لكل بلد من البلدان؛ فالاستناد للتراث الحضاري للبلد، واستمداد القيم الصالحة منه، والاستفادة من الخبرة التاريخية في التطور الحاصل في الماضي، هي كلها من أساسيات نجاح الاستقلال التنموي في البلدان النامية<sup>(١)</sup>.

وأن مسيرة التنمية في أي مجتمع، لن تكون راسخة الأركان، عميقة الجذور، فائضة المردود، ما لم تكن نابعة من ذاتية ذلك المجتمع، وملائمة لمبادئه، ومستجيبة لاحتياجاته، ومن الإخفاق الظن بأن التنمية يمكن استيرادها كما تستورد الأشياء المادية، بل لابد أن تتم في إطار اجتماعي محدد، بحيث يكون هذا الإطار القاعدة الأساسية للأخلاقيات، والقيم والمبادئ<sup>(٢)</sup>.



(١) د/ سعد فتح الله، التنمية المستقلة، ص ٤٥ .

(٢) انظر: د/ محمود سفر، التنمية قضية ، ص ١٩ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

ثالثاً: أهمية الجانب الإنساني في التنمية بالانطلاق من التنمية الثقافية:

إن هذا الانتباه لأهمية الجانب الإنساني في التنمية والاهتمام به، والتوجه نحو التنمية المستقلة، يكشف عن أهمية الجانب الثقافي في التنمية، ويبرز أهمية التنمية الثقافية التي تعطي الإنسان الأولوية في التنمية باعتباره القائم بها، والقاطف لثمرتها معنوياً ومادياً، وإرجاع التنمية الاقتصادية إلى مكانها المناسب، باعتبارها وسيلة لا غاية، فالنمو الاقتصادي وحده، وتحسن الأحوال المعيشية لا يعني بالضرورة تحقيق التنمية<sup>(١)</sup>.

إن هذا التطور في النظر إلى التنمية، والنتائج من وصولها إلى طريق مسدود، يطرح أمامنا إشكالات حول السبيل إلى الخروج من هذا الإخفاق، ولكن قبل الإجابة على هذا الإشكال، أود أن أحدد المظاهر المهمة، التي تجلي هذا الإخفاق في التنمية بحسب ما سبق وسأجملها في النقاط الآتية:

### أولاً: الإسقاط:

وأعني به أن التنمية في البلاد النامية أتت من الأعلى إلى الأسفل دون تهيئة، فكانت بمبادرة من الدولة، ولم تكن بمبادرة من الأمة ففقدت ابتداءً شرط الإرادة المتكاملة، فكانت الاستجابة لها متوقفة على مدى توافقها أو اختلافها مع ما عليه المجتمع، أو على تحقيقها لمصلحة المجتمع، أو بعض فئاته.

### ثانياً: الغربية:

وأعني به غربة نموذج التنمية؛ حيث تم التخطيط لها وفق أحد النموذجين؛ النموذج الاشتراكي، أو النموذج الرأسمالي، دون اعتبار للشرط الاجتماعي فكانت تقليداً محضاً لا إبداع فيه.

(١) انظر: د/ أسامة عبد الرحمن تنمية التخلف، ص ١٦ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### ثالثاً: التجاهل:

وأعني به تجاهل الواقع في خصوصيته الثقافية؛ من حيث هويته، أو خصوصيته التاريخية من حيث تخلفه، فتم اعتماد النماذج المشار إليها بما تتضمنه من فلسفة لا تتناسب وخصوصية الأمة ثقافياً وتاريخياً مما أدى إلى تكريس الازدواجية، والتنافر، والشعور بالغربة لدى قطاع عريض من الأمة كما إنها لا تتناسب ومستوى فاعلية الإنسان وقدرته على إنجازها.

### رابعاً: التجزئة:

وأعني به إغفال السياق التاريخي الذي أنتج مشكلة التخلف وتفقيتها إلى عدة مشكلات، وتصميم العلاج لكل مشكلة على حدة بناء على تلك التجزئة دون أخذ هذه المشكلات في سياق واحد أنتجها، مما أدى إلى التكديس، وسيادة النزعة الاستهلاكية وتكريس التخلف.

### خامساً: الأحادية:

باعتماد الجانب الاقتصادي بصفته الأساس لحل المشكلات، والتوقع بأنه سيحل المشكلات الأخرى آلياً، ولكنه أدى . كما سبقت الإشارة . إلى نتيجة عكسية في الجانب الإنساني، فترسخت التبعية، وتراكمت المشكلات ولاسيما في مجال الرأسمال البشري، بتجاهل أولويته وعدم العناية بحقوق الإنسان بحيث استمر الوضع كما هو في تغييب الإنسان، بل ربما ازداد سوءاً، ولم تتم الاستفادة من التجربة الغربية في هذا الجانب الفعال؛ سواء أكان ذلك بالجهل بهذا الجانب أو بتجاهله، أو بالترويج لغربته عن التراث.



## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

رابعاً: ضرورة التنمية الثقافية لبناء التنمية المتكاملة:

إن التنمية الفعلية: عملية تكاملية مستمرة، تستهدف تغيير الإنسان ومحيطه الاجتماعي والمادي نحو الأفضل معنوياً ومادياً، بحسب رؤية واضحة وأهداف متسقة معها، تؤمن بها الأمة، وتدفع لتحقيقها بإرادة وفاعلية، وفق نموذج مناسب. وهي بهذا الاعتبار تتضمن عدة أمور:

أولاً: الرؤية الواضحة المتأسسة على هوية الأمة وقيمتها.

ثانياً: الأهداف المتسقة مع الرؤية.

ثالثاً: الإرادة والفاعلية الناتجة عن إيمان الأمة بالرؤية واقتناعها بالأهداف.

رابعاً: الأنموذج المناسب الذي يستثمر تجارب الآخرين، ويراعي خصوصية

الأمة ثقافياً، ووضعها تاريخياً ويطور تجربته باستمرار.

إن التنمية من هذه الناحية ذات بعد إنساني، سواء من حيث إنجازها أو غاياتها، فإنجازها يتطلب تغييراً في الشخصية الفردية، ومحيطها الاجتماعي، وغايتها نقل الفرد والمجتمع إلى ظروف أفضل قيمياً ومادياً بما يحقق الكرامة والحرية والعدالة والإنتاجية. إذ أن الجانب المادي أو الاقتصادي وحده وإن أدى إلى تغيير فلن يحقق نجاحاً ما لم يكن مصحوباً بتغيير ثقافي ممنهج.

إن التنمية الثقافية هي الجانب الجوهري أو الأساس في العملية التنموية وذلك باعتبار الثقافة: المحيط الاجتماعي الذي يعكس الحضارة، ويشكل الشخصية الفردية<sup>(١)</sup>.

فمن خلالها تظهر جميع الجوانب المؤثرة في صياغة المجتمع وأفراده؛ من عقائد، وقيم، ومعارف، وتشريعات، وعادات، وأعراف، وغير ذلك من العناصر التي يتشكل منها

(١) انظر مالك بن نبي، شروط النهضة ص ٨٣.

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

أسلوب حياة المجتمع، ويؤدي دوراً عظيماً في فاعليته، وفي طريقة استثماره لموارده ، وتوجيهه لطاقاته ، وفي أداء الواجبات واستيفاء الحقوق .  
إذا كان الأمر كذلك، فكيف السبيل إلى تنمية تجعل الإنسان هدفها وترفع فاعليته وتحقق له إنسانيته ؟

إن الإجابة على ذلك تتطلب وعياً بالقوانين الحاكمة للسلوك الإنساني اجتماعياً ونفسياً، والتي تتحكم في النهوض والانحطاط، والفاعلية والخمول والإيجابية والسلبية، ووضع الخطط على ضوءها، والانطلاق من نظرة كلية للمشكلة، والتخطيط لحلها بناءً على ذلك، وهذا يردنا إلى مشكلة النهضة، والتي مازال سؤالها يتردد منذ أن بدأت الأمة محاولاتها للخروج من نفق التخلف، وكانت الإجابات على ذلك متعددة بل الممارسات، ولكن النهضة مازالت متعثرة، وقد يكون من المناسب هنا الإشارة إلى ما ذهب إليه مالك بن نبي . المفكر الجزائري . من رؤية نهضوية تضع مشكلة الثقافة في المقدمة بالنسبة للخروج من أزمة التخلف والانحطاط؛ فهو يرى "أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته"<sup>(١)</sup> .  
ومن ثم فلا يمكن التخطيط للنهوض بالمجتمع ما لم يربط النهوض بالانحطاط، فالتخلص من آثار الانحطاط شرط لقيام النهضة وذلك بناءً على رؤيته لقانون الحضارة؛ فهو ممن يذهب إلى أن الحضارة محكومة بقانون الدورة؛ بحيث تبدأ من مرحلة الصفر حينما تدخل فكرة دينية محيط مجتمع ما فتصوغ الإنسان وتتركب عناصر حضارة ذلك المجتمع التي هي: (الإنسان والتراب والزمن) بنشاط المؤمنين المندفعين بها وينطلق في معركة البناء بدفعة الروح في المرحلة الأولى؛ والتي طابعها إنساني بمعنى أنها تتجه لتكثيف طاقات الإنسان وصياغته صياغة جديدة ، وفي مرحلتها الثانية يظهر دور العقل والازدهار المادي ويتجه الاهتمام إلى تكثيف الجانب المادي وتنظيمه، وفي المرحلة الثالثة

(١) انظر السابق ص ١٩ .



## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

---

تطغى الغريزة، وتنحل العلاقات الثقافية، وينقلب سلم القيم، بظهور الأنانية والسلبية والانتهازية ونحوها من الأخلاق السلبية التي تهدم البناء الاجتماعي بالنزعة الفردية الأنانية التي تعلي مصالح الفرد على مصلحة الكل وتصل بها الحضارة إلى مرحلة الأفول، ولكن ذلك لا يعني السير الحتمي الذي لا يمكن معه القيام بالتغيير، بل يمكن التحرك بين مراحل الحضارة إذا روعيت الشروط .



## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### خامساً: أثر التنمية الثقافية في بناء الإنسان:

إن النهضة في العالم النامي، لا يمكن القيام بها مع إغفال آثار مرحلة الانحطاط، فأى محاولة للنهضة لابد أن تسبق بتصفية السلبيات الناتجة عن الانحطاط، ولا يمكن ذلك دون إعطاء الثقافة الأولوية، والتخطيط لها بما يؤدي إلى تصفية الرواسب السلبية في الأنفس، وتجديد المحيط الاجتماعي، فالثقافة نظرية في السلوك، وليست نظرية في المعرفة<sup>(١)</sup> ولذا ينبغي وضع منهاج للسلوك الفردي، والسلوك الاجتماعي، يعيد سلم القيم إلى وضعه الصحيح، وذلك بناءً على أن مشكلة النهضة هي مشكلة الإنسان، وليست مشكلة النظم، وفي هذا المجال يستشهد مالك بن نبي على أثر الإنسان الذي يعاني من مشكلة الانحطاط في إخفاق التنمية إذا أغفلت سلبياته التي بقيت في نفسه من فترة الانحطاط عند التخطيط للتنمية بحدث واقعي؛ هو ما حدث في اندونيسيا، حيث أخفقت الخطة التي وضعها الخبير الألماني (شاخت) للنهوض بالاقتصاد الاندونيسي مع نجاحه في ألمانيا يقول مالك: "إن فشل مخططه . يعني شاخت . في النهوض باقتصاد اندونيسيا كان أمراً لم يتوقعه، لما التزم فيه من دقة فنية من ناحية، ولما توفر في نظرة من وسائل مادية وبشرية كفيلة بتحقيقه في رقعة من الله عليها بأخصب تربة تنبت من كل أنواع الخيرات، في مناخ يجعلها تنتج من ثمراتها في ثلاثة مواسم، وأسكن فيها مائة مليون من العباد، يعجب الإنسان من ذكائهم، ومن ذوقهم الجمالي المرهف، ومع كل هذه المعطيات فشل المخطط ... فما الأمر الذي تعثر بسببه هذا المشروع؟"

إن نجاح تجربة شاخت في التخطيط لألمانيا لم تكن مرتبطة بالمعطيات المادية فقط بل بالإنسان فقد كانت علة إخفاقه في اندونيسيا عدم مراعاة فارق المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي، لأن ذهنه يحمل لهذه المعطيات صورة واحدة، تطبق في أي تجربة

(١) مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ص ٧٠ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

تجري داخل ألمانيا وخارجها، بينما الواقع الإنساني لا يفسر على أساس المعادلة البيولوجية فقط بل لابد من اعتبار المعادلة الاجتماعية وهي تختلف من مجتمع إلى آخر بحسب مرحلته الحضارية، بل وتختلف في مجتمع واحد من عصر إلى عصر، حسب الاختلاف في درجة النمو أو التخلف.

**فأما المعادلة الأولى** فهي فطرية فطر الله الناس عليها حين خلق الإنسان في أحسن تقويم وميزه على العالمين بالتكريم فهي منحة منه . ﷻ . إلى كل البشر .

**أما المعادلة الثانية** فهي اجتماعية يطبعها المجتمع على كل أفراد، بحيث تكون قاسماً مشتركاً يطبع سلوكهم، ويحدد درجة فعاليتهم أمام المشكلات بصورة تميزهم عن أفراد مجتمع آخر، أو عن جيل آخر من مجتمعهم، إذا كان الفاصل الزمني كافياً لطبع المجتمع بأسلوب آخر، يتفق مع معادلة اجتماعية أخرى ذلك بأنها مرتبطة بموقع المجتمع من الحضارة دخولاً فيها أو خروجاً منها.

وفي هذا الحدث الواقعي مصادر المعادلة الاجتماعية مختلفة فأحدهما تمثله المعادلة الاجتماعية للعالم الغربي، والآخر المعادلة الاجتماعية للعالم الإسلامي؛ كلاهما يطبع سلوك الأفراد بدرجة معينة من الفعالية، بحيث نستطيع أن نعتبرها مقياساً لقدرة الفرد . بحسب بيئته . على الهيمنة على أسباب الحياة الاجتماعية، وهي قدرة تختلف اليوم من العالم الغربي حيث يسود الإمكان الحضاري، ومحور العالم الإسلامي حيث يفقد هذا الإمكان، كأنما تتدخل ضمناً مجموعة شروط أولية في تحديد مواقف الفرد أمام المشكلات، وبالتالي تحديد نتائج هذه المواقف.

فهذه المجموعة من الشروط هي المعادلة الاجتماعية، التي تشرط بطريقه ضمنيه، مواقف الفرد ونتائجها، بحيث تخضع هذه النتائج إلى نوع من الحتمية وإذا أدركنا طبيعة هذه الحتمية، ندرك مدى سلطتها على تصرفاتنا في الوقت الراهن، ومدى حريتنا معها إذا

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

صمنا على تغيير معادلتنا الاجتماعية، على الطريقة التي أتاحت تغييرها لمجتمعات أخرى مثل اليابان والصين .

ويتضح بناءً عليها السبب في إخفاق مخطط(شاخت) مع توفر كل الشروط الفنية والمادية، لأنه فقد شرطاً ضمناً ليس من اختصاص رجل الاختصاص في الاقتصاد أن يفكر فيه <sup>(١)</sup>. بل من اختصاص المجال الثقافي.

إن هذه النظرة التي يقدمها مالك بن نبي، تضع أيدينا على جوهر المشكلة؛ فالتنمية عملت على تغيير الإطار المادي على أساس اقتصادي . كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقاً . ولم تعمل على تغيير الإنسان، بما يتفق وقوانين النفس والاجتماع ،أو بناءً على التنمية الثقافية وهذا ما يفسر لنا إخفاق التنمية في الارتقاء بالإنسان والتي يتكلم عنها بمرارة الكاتب الياباني (نوتوهارا ) في كتابه: (العرب وجهة نظر يابانية ) فيقول:

"سافرت إلى البلدان العربية، وكنت قد تجاوزت الثلاثين من عمري، ورأيت، وقرأت، وتحدثت إلى الناس في كل مكان نزلت فيه، لقد عاينت بنفسني غياب العدالة الاجتماعية، وتهميش المواطن، وإذلاله، وانتشار القمع بشكل لا يليق بالإنسان وغياب كل أنواع الحرية؛ كحرية الرأي، والمعتقد، والسلوك، وغيرها، كما عرفت من قرب، كيف يضحى المجتمع بالأفراد الموهوبين، والمخلصين، ورأيت كيف يغلب على سلوك الناس عدم الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع، وتجاه الوطن، ولذلك كانت تراقني أسئلة بسيطة، وصعبة، لماذا لا يستفيد العرب من تجاربهم؟ لماذا لا ينتقد العرب أخطاءهم؟ لماذا يكرر العرب الأخطاء نفسها ؟ نحن نعرف أن تصحيح الأخطاء يحتاج إلى وقت قصير أو طويل، ولكل شيء

(١) انظر: محمود سفر، قضية التنمية ص ٢٣٠-٢٣١ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

وقت، ولكن السؤال هو كم يحتاج العرب من الوقت، لكي يستفيدوا من تجاربهم، ويصحوا أخطائهم، ويضعوا أنفسهم على الطريق السليم؟<sup>(١)</sup>.

إن هذه الصورة القاتمة التي يذكرها الكاتب الياباني عن وضع الإنسان هي نتيجة طبيعية لتزواج مرحلة الانحطاط مع مرحلة التبعية، والسير على غير هدى من القوانين الحاكمة للنهوض والانحطاط، مع الجهل بالذات، والجهل بالآخر، ولا سبيل إلى الخروج من ذلك إلا بتصفية عاداتنا، وتقاليدينا، وإطارنا الخلقي، والاجتماعي مما فيه من عوامل قتّالة، ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحية، والداعية إلى الحياة ولا تتأتى هذه التصفية إلا بفكر جديد، يحطم ذلك الوضع الموروث من فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد، هو وضع النهضة<sup>(٢)</sup>.

" إن مشكلة الثقافة لا تخص طبقة دون أخرى، بل تخص مجتمعنا كله بما فيه المتعلم والصبي الذي لم يبلغ مرحلة التعلم، إنها تشمل المجتمع كله من أعلاه إلى أسفله " ومن أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نحددها باعتبارها عاملا تاريخيا لكي نفهمها، ثم باعتبارها نظاما تربويا تطبيقيا لنشرها بين طبقات المجتمع<sup>(٣)</sup>.

ذلك " بأن الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير، والتنوع الاجتماعي، على الأخص إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية، وعلى هدي هذه

(١) نوتوهاارا، العرب من وجهة نظر يابانية ص ١٣ .

(٢) شروط النهضة ص ٨٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٥ .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

---

القاعدة تشتمل الثقافة في معناها العام على إطار حياة واحدة، يجمع بين راعي الغنم والعالم، بحيث توجد بينهما دواعٍ مشتركة، وهي تهتم في معناها الخاص بكل طبقة من طبقات المجتمع فيما يناسبها من وظيفة تقوم بها، وما لهذه الوظيفة من شروط خاصة، وعلى ذلك فإن الثقافة تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع ونعالج مشكلة القيادة فيه، كما تعالج مشكلة الجماهير<sup>(١)</sup>.

والتربية هي سبيل الأمم إلى إحداث التغيير المنشود، ومجابهة الأزمات، وحل المشكلات<sup>(٢)</sup>.



---

(١) المرجع السابق ص ٨٦ .

(٢) انظر: رودني . ف . ألن ، التربية وقضايا الطاقة ص ١٧ .

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
أجمعين....وبعد،،،،،

فيتضح مما سبق أنه إذا لم يتم التخطيط للتربية، ووضع البرامج الملائمة لبناء الشخصية الحضارية الفاعلة والمنتجة، فلن تستطيع الأمة النهوض من كبوتها أو تجسيد القيم الإنسانية في سلوكها ولذا فإن من الأهمية بمكان الاهتمام بتفعيل رأسمالها البشري بطريقة مخططة تستوفي شروط التخطيط الثقافي وتضع في أولوية تخطيطها الثقافي ما يلي:

- تربية الضمير الحي.
- بناء الإرادة الصلبة وحفز الطاقات وتوجيهها الوجهة النافعة.
- الكشف عن الموهبة وتنميتها وتوجيهها الوجهة السليمة.
- تربية العقل على التساؤل والنقد والإبداع وتوجيهه نحو حل المشكلات وليس الحكم عليها.
- تنمية التفاؤل الإيجابي الذي يؤدي إلى الاستفادة من المواقف الخاطئة دون إحباط.
- تنمية القدرة على التعلم من الأخطاء والتدريب على النقد الذاتي الفردي والاجتماعي في مناخ من الحرية المسؤولة.
- الاستفادة من الصواب والمفيد بغض النظر عن مصدره.
- الحذر من الخط في المقاييس ومراعاة اختلاف المجالات ومستويات النظر.
- النظرة الكلية التي تستوعب المشكلة وتضع الحلول الجوهرية المناسبة لها دون تجزئة أو ازدواجية.

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

---

- استثمار التطور في مختلف المجالات ولاسيما المجال المعرفي والإنساني والوصل بين المعرفة والتدريب ومراعاة الجودة الشاملة في مختلف المجالات .  
والله الموفق إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله؛

د . عبد الله بن حمد العويسي

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الشريعة بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢٠١١ / ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م





## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### قائمة المصادر والمراجع

- (١) الإسلاميون والمسألة السياسية ، مجموعة من الباحثين، الطبعة: الثانية، التنمية العربية ٢٠٠٤م.
- (٢) البيروقراطية وإدارة التنمية "فهد السلطان، الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع .
- (٣) التربية وقضايا الطاقة، رودني . ف . ألن، ترجمة محمد عبد العليم مرسى، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ . ١٩٨٦م).
- (٤) تنمية التخلف وإدارة التنمية: إدارة التنمية في الوطن العربي والنظام العالمي الجديد. أسامة عبد الرحمن. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧م.
- (٥) التنمية المستقلة المتطلبات والإستراتيجية والنتائج، د. سعد حسين فتح الله، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥م.
- (٦) التنمية قضية، محمود سفر، جدة، تهامة ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م .
- (٧) الثقافة والتنمية البشرية، أشواق عبد المحسن الصاعدي، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، الحضارية للطباعة والنشر العراق بغداد ط/اتموز ٢٠٠٨م.
- (٨) شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: د/ عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت.
- (٩) العرب من وجهة نظر يابانية، نوبوأكي نوتوهارا منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- (١٠) علم اجتماع التنمية، نبيل السمالوطي، دراسة في اجتماعات العالم الثالث ، دار النهضة ، بيروت .

## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

- (١١) العنف السياسي في الوطن العربي، عبد الإله بلقزيز، المستقبل العربي سنة ١٩٩٦ العدد /٢٠٩ يوليو ١٩٩٦ م .
- (١٢) مشاكل التنمية في العالم الثالث"، محمد سعيد، دار الوطن للنشر والطباعة والإعلام، الرياض ١٩٨٤م.
- (١٣) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، تحقيق: عبد الصبور شاهين الطبعة: الحادية عشرة ، دار الفكر المعاصر تاريخ النشر: ٢٠٠٥م.
- (١٤) معجم الماركسية النقدي، جيرار بن سوسان وجورج لابيكا، دار محمد علي للنشر . صفاقس و دار الفارابي . بيروت ط/١ (٢٠٠٣م) .
- (١٥) مقدمة في علم اجتماع التنمية، د. محمد الجوهري، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ط/٢ ١٩٧٩م دار الكتاب للتوزيع القاهرة .
- (١٦) من الحداثة إلى العولمة، تيمونز روبرتس وأيمي هايت، ترجمة سمير الشيشكلي، سلسلة عالم المعرفة عدد ٣٠٩ نوفمبر ٢٠٠٤م.



## التنمية الثقافية وأثرها في بناء الإنسان

### فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	مسل سل
٣٨٥	المقدمة	-١
٣٨٧	تمهيد: عن مصطلح التنمية	-٢
٣٨٩	أولاً: إطار التنمية وأنموذجها	-٣
٣٩٥	ثانياً: خطورة التركيز على التنمية الاقتصادية فحسب	-٤
٣٩٧	ثالثاً: أهمية الجانب الإنساني في التنمية	-٥
٣٩٩	رابعاً: التصور الصحيح للتنمية وضرورة التنمية الثقافية	-٦
٤٠٢	خامساً: أثر التنمية الثقافية في بناء الإنسان	-٧
٤٠٧	الخاتمة	-٨
٤٠٩	قائمة المصادر والمراجع	-٩
٤١١	فهرس الموضوعات	-١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

